

مجلــــــــــة

آداب الرافدين

علميّـــــة محكّمـــــة

فصليـــّــة

تصـــدر عن كليـــة الآداب

العـــدد: ثلاثة وسبعون

السنة: الثامنة والأَربعون

الموصــــــــل

١٤٣٩هـ / ٢٠١٨م

توجه المراسلات باسم رئيس هيئة التحرير

كلية الآداب / جامعة الموصل – جمهورية العراق

E-mail: adabarafidayn@gmail.com



آداب الرافدين

مجلة محكّمة تعنى بنشر البحوث العلمية الموثّقة في الآداب والعلوم الإنسانية باللغة العربية واللغات الأجنبيَّة

العدد: ثلاثة وسبعون   السنة: الثامنة والأربعون

قواعد النشر في المجلة

- يقدم البحث مطبوعاً بدقة، ويكتب عنوانه واسم كاتبه مقروناً بلقبه العلمي للانتفاع باللقب في الترتيب الداخلي لعدد النشر.
- تكون الطباعة القياسية بحسب المنظومة الآتية: (العنوان: بحرف ١٦/ المتن: بحرف ١٤/ الهوامش: بحرف ١٢)، ويكون عدد السطور في الصفحة الواحدة: (٢٧) سطراً تحت سطر ترويس الصفحة بالعنوان واسم الكاتب واسم المجلة، ورقم العدد وسنة النشر، وحين يزيد عدد الصفحات في الطبعة الأخيرة داخل المجلة على (٢٥) صفحة للبحوث الخالية من المصورات والخرائط والجداول وأعمال الترجمة، وتحقيق النصوص، و (٣٠) صفحة للبحوث المتضمنة للأشياء المشار إليها، تتقاضي هيئة التحرير مبلغ (٢٠٠٠) دينار عن كل صفحة زائدة فوق العددين المذكورين، فضلاً عن الرسوم المدفوعة عند تسليم البحث للنشر والحصول على ورقة القبول؛ لتغطية نفقات الخبرات العلمية والتحكيم والطباعة والإصدار .
- ترتب الهوامش أرقاماً لكل صفحة، ويعرّف بالمصدر والمرجع في مسرد الهوامش لدى وورد ذكره أول مرة، ويلغى ثبت (المصادر والمراجع) اكتفاءً بالتعريف في موضع الذكر الأول .
- يقدم الباحث تعهداً عند تقديم البحث يتضمن الإقرار بأنَّ البحث ليس مأخوذاً (كلاً أو بعضاً) بطريقة غير أصولية وغير موثقة من الرسائل والأطاريح الجامعية والدوريات، أو من المنشور المشاع على الشبكة الدولية للمعلومات (الانترنت).
- يحال البحث إلى خبيرين يرشحانه للنشر بعد تدقيق رصانته العلمية، وتأكيد سلامته من النقل غير المشروع، ويحال – إن اختلف الخبيران – إلى (محكم) للفحص الأخير وترجيح جهة القبول أو الرد.
- لا ترد البحوث إلى أصحابها نشرت أو لم تنشر .
- يتعين على الباحث إعادة البحث مصححاً على هدي آراء الخبراء في مدة أقصاها (شهر واحد)، ويسقط حقه بأسبقية النشر بعد ذلك نتيجة للتأخير، ويكون تقديم البحث بصورته الأخيرة في نسخة ورقية وقرص مكتنز (CD) مصححاً تصحيحاً لغوياً وطباعياً متقناً، وتقع على الباحث مسؤولية ما يكون في بحثه من الأخطاء خلاف ذلك، وستخضع هيئة التحرير نسخ البحوث في كل عدد لقراءة لغوية شاملة أخرى، يقوم بها خبراء لغويون مختصون زيادة في الحيطة والحذر من الأغاليط والتصحيفات والتحريفات، مع تدقيق الملخصين المقدمين من جهة الباحث باللغة العربية أو بإحدى اللغات الأجنبية، وترجمة ما يلزم الترجمة من ذلك عند الضرورة.

((هيئة التحرير))

المحتويـات

الألفاظ الدالة على الحيوان في آي من القرآن المجيد

م.د. صلاح الدين سليم محمد *

تأريخ التقديم: ٢٠١٧/١٠/٢٢　　　　　تأريخ القبول: ٢٠١٨/١/٣

المقدمـة :

الحمد لله رب العالمين الذي خلق فسوى والذي قدر فهدى والصلاة والسلام على نبينا الكريم الذي أرسله الله رحمة للعالمين وعلى آله وصحبه أجمعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

عالم الحيوان عالم فسيح ومهم في الحياة ، إهتم العرب بالحيوان إهتماماً بالغاً منذ القدم ، لكونه مصدر رزقهم ، ووسيلة تنقلهم وكان للحيوان رمزية وصورة خاصة في فكر الإنسان الجاهلي . وجاء الإسلام فأعطى أهمية كبرى للحيوان وأمر بالرّفق به ونظر الى هذا العالم نظرة واقعية ترتكز على أهميته في الحياة .

وركّز بحثنا على الألفاظ الدالة على الحيوان في آي من القرآن المجيد مثل (ينعق) و(حبطت) و (لأحتنكنّ) و (اخسؤوا) و (ولا تصعّر) و (الهيم) و (الزنيم) و (الخرطوم) محاولاً بيان دلالة هذه الألفاظ وإظهار استثمار القرآن الألفاظ في تصوير حال الكافرين .

واقتضى العمل تقسيم البحث على مبحثين : تناول الأول (الحيوان في التراث العربي) وكشف الثاني (دلالة الألفاظ المختارة) ، فضلاً عن مقدمة وخاتمة ذُكر فيها أهم النتائج وكانت منهجيتنا وصفية تحليلية لسعينا الى الإحاطة بدلالة الألفاظ الدالة على الحيوان ووزعت الألفاظ المختارة حسب ورودها في سور القرآن الكريم.

وللوصول الى دلالة الألفاظ المختارة اعتمدنا على عدد كبير من المعاجم منها : (العين) للفراهيدي (ت ١٧٥هـ) و (جمهرة اللغة) لابن دريد (ت ٣٢١هـ) و (مقاييس اللغة) لابن فارس (ت ٣٩٥هـ) ومجموعة كبيرة من التفاسير منها : (جامع البيان في تأويل القرآن) للطبري (ت ٣١٠هـ) و (الكشاف في حقائق غوامض التنزيل) للزمخشري (ت

* كلية العلوم السياسية/ جامعة الموصل .

٥٣٨هـ) و(الجامع لأحكام القرآن) للقرطبي (ت ٦٥١هـ) فضلاً عن الكتب اللغوية وكتب علوم القرآن .

المبحث الأول
الحيوان في التراث العربي

اهتم العرب بالحيوان اهتماما بالغاً منذ القدم ؛ لكون الحيوان مصدر رزقهم ووسيلة تنقلهم ؛ لذلك أكثروا الحديث عنه ، فوصفوا جسومه وطباعه ، وحركاته ، وسكناته ، وأمراضه ، حتى أنهم كانوا يسمون أبناءهم بأسماء الحيوان ، كالكلب والذئب والحمار وثعلبة وغيرها " والعرب إنّما تسمى بكلب ، وحمار ، وحجر ، وجعل ، وحنظلة ، وقرد ، على التفاؤل بذلك . وكان الرجل إذا ولد له ذكر خرج يتعرض لزجر الطير والفأل ، فإن سمع انساناً يقول حجراً ، أو رأى حجراً سمّى ابنه به وتفاءل به الشدة والصلابة ، والبقاء والصبر وأنه يحطّم ما لقى ، وكذلك إن سمع انساناً يقول ذئب أو رأى ذئباً، تأول فيه الفطنة والخبّ والكسب، وإن كان حماراً تأول فيه طول العمر والوقاحة والقوة والجَلد... " [١] .

وكان لتلك الحيوانات في شعر الشعراء الجاهلين نصيب كبير ، بل أن بعضهم وصفها وصفاً دقيقاً وذكر رحلاتها وغزواتها وحركاتها وسكناتها وكرّها وفرّها . ونرى هذا في شعر أصحاب المعلقات .

وظهرت صورة الناقة بشكل واضح في المعلقات ، فمثلاً امرؤ القيس كان يتباهى بجسم ناقته وشدتها وما اكتنزها من لحم وشحم [٢] .

والناقة لدى شعراء الجاهلية لها صور رئيسة ، ناقة للسفر وحمل الاثقال وناقة سائبة وناقة لقرى الضيف ووصف طرفة بن العبد سرعة ناقته وقوتها وضخامتها وحيويتها ونشاطها في صور فنية مؤثرة [٣] .

---

(١) الحيوان أبو عثمان بن بحر ، الجاحظ ، (ت ٢٥٥هـ) ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، دار احياء التراث العربي ، ١٤٣١هـ – ٢٠١٠م : ١ / ٢١٤ .

(٢) ينظر : ديوان أمرؤ القيس، شرح عبد الرحمن المصطاوي ، دار المعرفة ، بيروت ، ٢٠٠٤م : ٢٧ .

(٣) ينظر : ديوان طرفة بن العبد ، شرح وتقديم مهدي محمد ناصر الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ٢٠٠٢م : ٣٠ .

وذكر الحارث بن حلزّة قوة ناقته وصلابتها وتباهى بصفاتها [١] ، وكذلك عنترة بن الشداد ذكر نشاط ناقته وشبّه سرعتها بسرعة ذكر النعام [٢] وجاء تصوير الخيل تصويراً دقيقاً من حيث السرعة والذكاء ومشاركة الفرسان في الحروب والإغارات ، فشبهوا الخيل في سرعتها بالطير وبالذئب في وثبه على الفريسة وبالثعلب لدهائه ومكره.

وجاء الاسلام دين الحق ودين الرفق فنظر الى عالم الحيوان إجمالاً نظرة واقعية وأعطى الحيوان أهمية كبرى وأمر بالرّفق به وعدّه سببا من أسباب استبقاء الحياة ؛ لأهميته ونفعه للإنسان ، وذكر القرآن المجيد أسماء العديد من الحيوانات وفيما يأتي جدول بأسماء الحيوان في القرآن .

الجدول يبين أسماء الحيوان وعدد ورودها في القرآن

اسم الحيوان	عدد الورود	السورة والآية
الإبل	٢	الأنعام : ١٤٤ ، الغاشية : ١٧
الناقة – ناقة	٧	الأعراف : ٧٣ و ٧٧ ، هود : ٦٤ ، الإسراء : ٥٩ الشعراء : ١٥٥ ، القمر : ٢٧ ، الشمس : ١٣
الجمل	١	الأعراف : ٤٠
بقرة – البقر – بقرات	٩	البقرة : ٦٧ و ٦٨ و ٦٩ و ٧٠ و ٧١ ، الأنعام : ١٤٤ و ١٤٦ ، يوسف : ٤٣ و ٤٦
العجل – عجلاً – عجل	١٠	البقرة : ٥١ و ٥٤ و ٩٢ و ٩٣ ، النساء : ١٥٣ ، الأعراف : ١٤٨ و ١٥٢ ، هود : ٦٩ ، طه : ٨٨ الذاريات : ٢٦
الضأن	١	الأنعام : ١٤٣
نعجة – نعاجه	٢	ص : ٢٣ و ٢٤
المعز	١	الأنعام : ١٤٣
الفيل	١	الفيل : ١
القردة	٣	البقرة : ٦٥ ، المائدة : ٦٠ ، الأعراف : ١٦٦
الخنزير – الخنازير	٥	البقرة : ١٧٣ ، المائدة : ٣ و ٦٠ ،النحل : ١١٥ ، الأنعام : ١٤٥
البغال	١	النحل: ٨

(١) ينظر: ديوان الحارث بن حلزة، تحقيق أميل بديع يعقوب، دار الكتاب العربي، ١٩٩١م : ٢١ – ٢٢ .

(٢) ينظر: شرح ديوان عنترة للتبريزي، تحقيق: مجيد طرّاد، دار الكتاب العربي، ١٩٩٢م: ١٦١ – ١٦٢ .

حمارك – الحمير – حمر	٥	البقرة : ٢٥٩ ، الجمعة : ٥ ، النحل : ٨ ، لقمان:٩ ، المدثر : ٥٠
الكلب	٣	الأعراف : ١٧٦ ، الكهف : ١٨ و ٢٢
الذئب	٣	يوسف : ١٣ و ١٤ و ١٧
الحوت – حيتان – صيد – البحر – اللحم الطري	٧	الكهف: ٦١ و٦٣ ، الصافات : ١٤٢ ، القلم : ٤٨، الأعراف : ١٦٣ ، المائدة : ٩٦
الضفادع	١	الأعراف : ١٣٣
النحل	١	النحل : ٦٨
النمل	١	النمل : ١٨
العنكبوت	١	العنكبوت : ٤١
الجراد	٢	الأعراف : ١٣٣ و القمر : ٧
البعوضة	١	البقرة : ٢٦
الذباب	١	الحج : ٧٣
الفراش	١	القارعة : ٤
القمل	١	الأعراف : ١٣٣
حية	١	طه : ٢٠
ثعبان	٢	الأعراف : ١٠٧ ، الشعراء : ٣٢
الهدهد	١	النمل : ٢٠
السلوى	٣	البقرة : ٥٧ ، الأعراف : ١٦٠ ، طه : ٨٠
الغراب	١	المائدة : ٣١

وذكر القرآن المجيد أسماء دالة على الناقة (البحيرة) ، (السائبة) ، (الوصيلة) ، (الحام) ، (الضامر) . وذكر أسماء دالة على مجموعة معينة من الحيوانات (الأنعام – النعم) وذكر ايضاً (الدّابة – دواب) الدالة على كل ما يدبّ على الأرض ، وكذلك أسماء دالة على ذوات الجناح (الطير – طيراً – طائراً) وذكر الأسماء الدالة على ذوات البُرثن (السّبع والقسورة) والأسماء الدالة على ذوات الحافر (العاديات والجياد) .

وأطلق سبحانه وتعالى أسماء بعض أصناف الحيوان على بعض السور الشريفة ، سورة البقرة ، الأنعام ، النحل ، النمل ، العنكبوت ، العاديات ، الفيل .

وقسم القرآن المجيد الحيوانات قال تعالى : ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ بَطْنِهِۦ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰٓ أَرْبَعٍ يَخْلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [النور : ٤٥] .

وذكر القرآن ألفاظا دالة على الحيوان سنذكرها في المبحث الثاني – إن شاء الله – والقرآن يدعو الى توجيه النظر الى الحيوان والتفكر في خلقه والتأمل في حياته ؛ لأن الحيوان آية من آيات الله . بإسلوب بياني معجز أضفى على هذه الكائنات المنتزعة من الطبيعة معانٍ سامية عميقة التأثير ، وقد ألبس القرآن المجيد ألفاظ الحيوان لبوساً جديداً لم يكن موجوداً لدى العرب من قبل اعتماده على الخطاب الانساني العام وليس مرعاة للعرب فقط، بل موافقة للجنس البشري في صور فنية متنوعة من خلال استنطاق اللفظ بما فيه مع الاكتفاء باللمحة الدالة ، لإداء الغرض الديني .

وأما في الحديث النبوي الشريف ، فقد دعا الرسول (ﷺ) الى الرفق بالحيوان وضرورة إطعامه وحمايته من ظلم الإنسان متوعداً من يعذبه أو يحبسه دون إطعام بعذاب جهنم ؛ لأن الرفق مبدأ إسلامي عظيم قال (ﷺ) : ((إنّ الله رفيق يحب الرّفق في الأمر كله)) [(١)] . فإذا كانت نظرة غير المسلمين الى الحيوان نظرة أخلاقية وقواعد إنسانية فإن نظرة المسلمين نظرة تشريعية لها خلفية فقهية تنظم مسائلها وترتب عليها الثواب لفاعلها والعقاب لمخالفها واستفاد الفقهاء مما ورد في السنة الشريفة وبنوا عليه استنتاجاتهم الفقهية ولا يكاد يخلو باب من أبواب الفقه الاسلامي من ذكر أحكام الحيوان (باب الطهارة) و (باب النجاسة) و (باب زكاة الحيوان) و (باب الهدي) و (باب الأضحية) و (باب الحدود) و (باب الجنايات) و (باب الإجازة) و (باب الأطعمة) و (باب المسابقة) .

وبعد تطور الحياة ألف علماء العربية مؤلفات عديدة تناولت حقل الحيوان وقدّموا مجموعة لا يستهان بها من رسائل وكتب جعلت من الحيوان مادة وموضوعاً لها ويمكن حصرها على النحو الآتي :-

(١) الامام ابو عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري ، (ت ٢٥٦هـ) ، بيروت – لبنان ، ج٥ ، ١٩٨١ : باب الاستئذان (٢٢) .

١- كتب (الفَرق) بحثت تحديد ما خالف فيه تسمية جوارح الإنسان تسمية جوارح ذوات الأربع من البهائم والطير .
٢- رسائل ومؤلفات تناولت نوع واحد من أنواع الحيوان .
٣- مؤلفات تناول أصحابها طبائع الحيوان وسلوكه .
٤- مؤلفات وكتب تحدثت عن الحيوان بصفة عامة .
٥- كتب في الشرع تحدثت فيها أصحابها عن الحلال والحرام في أكل الحيوان .
٦- ومؤلفات تناولت غرائب المخلوقات من الحيوان .

ومن جملة المؤلفات كتب (الفرق) وتعد كتب الفرق من أقدم ما وصل الينا من رسائل لغوية درست أسماء أعضاء الإنسان وما يقابلها عند الحيوان ، وكتب الفرق : الفرق لقطرب (ت ٢١٠هـ) والفرق للأصمعي (ت ٢١٦هـ) ، والفرق السجستاني (ت ٢٥٥ هـ) ، والفرق لإبن فارس (ت ٣٩٥هـ) ، والفرق لثابت بن أبي ثابت من علماء القرن الرابع الهجري .

وكذلك عالجت الصفات ، أصوات الحيوان ، وأسماء الجماعات ، والألفاظ المتعلقة بالحمل والولادة [(١)] . وكانت هذه الكتب أنموذجاً لمعجمات معاني الموضوعات، إذ انها الحجر الأساسي الذي بني عليه فيما بعد معجمات المعاني الضخمة .

وقسم أصحاب كتب الفرق الحيوانات الى اقسام عدّة :

- ذوات الخُفّ
- ذوات الظّلف
- ذوات الحافر
- ذوات البرثن

---

(١) ينظر : الفرق أبو علي محمد بن المستنير بن أحمد المعروف بقطرب (ت ٢١٠هـ) ، تحقيق : خليل إبراهيم العطية ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٩٨٧م: ١٢ ، الفرق للأصمعي : ١٦ ، الفرق أبو حاتم السجستاني ، (ت ٢٥٥هـ) ، تحقيق : حاتم صالح الضامن، المجمع العلمي العراقي ، ١٩٨٦م: ٢٠ ، الفرق ابو الحسين أحمد بن زكريا ، ابن فارس ، (ت ٣٩٥هـ) ، تحقيق : رمضان عبد التواب ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م: ١٥ ، الفرق ثابت بن أبي ثابت (توفي بعد القرن الثالث الهجري) ، تحقيق : حاتم صالح الضامن ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٩٨٨م: ١ / ١٨ .

- ذوات الجناح
- خشاش الأرض

معتمدين في ذلك على الملمح المميز في كل نوع ، ويلحظ أن أصحاب هذه الكتب تناولوا الحيوانات البرية فقط ، وربما كانت للبيئة أثر في ذلك .

ومن الكتب التي تناولت نوع واحد من أنواع الحيوان كتاب (الإبل) وكتاب (الخيل) وكتاب (الشاء) للأصمعي (ت ٢١٦هـ) . وتناول في كتاب الإبل مما يذكر به غزارة الإبل ، وأسماء الإبل ، وأدواء الإبل ، وسير الإبل ، والوان وأظماء الإبل [١] .

وفي كتاب الخيل تناول حمل الخيل ونتاجها ، وأسنان الخيل ، وخلق الخيل ووصف أعضاءها وما يستحب من الخيل [٢] وفي كتاب الشاء تناول حمل الغنم وأسماء أولادها ونعوتها من قبل ألبانها وضرع الشاة ونعوتها من قبل امراضها [٣] .

ومن الكتب التي تناولت نوع واحد من أنواع الحيوان كتاب (البغال) للجاحظ (ت ٢٥٥هـ) تناول فيه ولع الإشراف بالبغال ، ونوادر البغال وطباعه والإنتفاع به في البريد وتطرق إلى تأثير البيئة في الحيوان [٤] .

ومن الكتب القيمة التي تناولت موضوعات تخص الحيوان كتاب (الغريب المصنف) لأبي عبيد بن سلام (ت ٢٢٤هـ) قسم مادة الكتاب الى كتب عدّة وجعل لكل كتاب أبواب عدّة ، كتاب الخيل ، كتاب الهوام ، كتاب الإبل ، كتاب الغنم ، كتاب الوحوش ، كتاب السباع [٥] .

---

(١) ينظر : الإبل : ١٢٥ – ١٤٥ .

(٢) ينظر : الخيل : ٥ – ٣٢ .

(٣) ينظر : الشاء أبو سعيد عبد الملك بن قريب ، الأصمعي ، (ت ٢١٦هـ) ، تحقيق ، صبيح التميمي ، مكتبة الثقافة الدينية ، ١٩٩٣م : ١٣ – ٤٥ .

(٤) ينظر : البغال عمر بن بحر بن محبوب ، الجاحظ ، (ت٢٥٥هـ) ، تحقيق : حاتم الضامن ، دار مكتبة الهلال ، بيروت ، ١٤١٨هـ : ٢١ – ٤٧ .

(٥) ينظر : الغريب المصنف القاسم بن سلام ، ابو عبيد ، (ت ٢٢٤هـ) ، تحقيق : صفوان عدنان الداوودي ، دار الفيحاء ، دمشق ، ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م : ٢٨١ – ٣١٩ .

ومن الكتب المهمة التي تناولت موضوعات تخص الحيوان كتاب (المنتخب من غريب كلام العرب) لكراع النمل (ت ٣١٠هـ) رتب كتابه على الأبواب تناول في الباب الواحد والعشرين الى الباب الرابع والعشرين الأسماء المفردة في خلق الإنسان وسائر الحيوان وما يخرج من الحيوان والذكران من الحيوان وأولاد الحيوان ثم تحدث في الباب الثاني والثلاثين عن نعوت الحيوان مع الأولاد ثم في الباب الواحد بعد المئة ذكر أسماء الطير وغيره من الحيوان وأسماء دوائر الفرس وسمات الإبل (١) .

ومن الكتب المهمة أيضاً كتاب (فقه اللغة وأسرار العربية) للثعالبي (ت ٤٢٩هـ) تناول فيه موضوعات تخص الحيوان مثل اسنان الدّواب وتنقل أحوالها وذكر ضروب الحيوان واجناسها وصفاتها وفحول الإبل واوصافها واهتم بأوصاف الغنم وتحدث عن أصوات الإبل والخيل والحمار والسباع والطيور والحشرات (٢) .

ومن الكتب المهمة أيضاً التي تناولت موضوعات تخص الحيوان بشكل موسع كتاب (المخصص) لابن سيده (ت ٤٥٨هـ) قسم مادة الكتاب الى كتب عدة على غرار ما فعل أبو عبيد بن سلام (ت ٢٢٤هـ) وقسم كل كتاب الى أبواب وقسم الأبواب الى أسفار ، كتاب الخيل ، كتاب الإبل ، كتاب الغنم ، كتاب السباع ، كتاب الحشرات ، كتاب الطير ، فضلاً عن ذكر موضوعات تخص أدوات لها علاقة مباشرة مع الحيوان مثل السرج وآلات الصيد واللجام (٣) .

وكل ما ذكر من الكتب جزء يسير مما يحويه التراث العربي من مؤلفات تناولت موضوعات تخص الحيوان ، فالتراث مليء بقصص الحيوان وعجائب وغرائب الحيوان؛ ذلك لأهميته في الحياة .

المبحث الثاني
دلالة الألفاظ المختارة

(١) ينظر : المنتخب من غريب كلام العرب : ١٣ – ٦٩ .

(٢) ينظر : فقه اللغة واسرار العربية عبد الملك بن محمد بن إسماعيل ، أبو منصور الثعالبي، (٤٢٩هـ) ، تحقيق : عبد الرزاق المهدي ، إحياء التراث العربي ، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠٢م : ٣٢ – ٩٨ .

(٣) ينظر : المخصص : ٢ / ١٠١ و ٧ / ٥٢٧ و ٨ / ٢٨ .

الله سبحانه وتعالى خلق الجمادات والنباتات والحيوانات والانسان ، فالجمادات تخدم النباتات والحيوانات والإنسان ، والنباتات تخدم الحيوانات والانسان والحيوانات تخدم الانسان ، فالإنسان سيد الكون جعله الله تعالى خليفة في الأرض قال الله تعالى للملائكة : ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ [البقرة : ٣٠] وكرمه سبحانه قال : ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ ﴾ [الاسراء : ٧٠] وطلب منه الامتثال لأوامره ونهيه (إفعل، لا تفعل) لكن من الناس من جحد بمطلوبات الإله العظيم مع كونه قادراً على تنفيذه . ونحاول في هذا المبحث ذكر دلالة الالفاظ المختارة وكيفية استثمار القرآن المجيد هذه الألفاظ ليظهر تدني مستوى الكافرين الى دونية الحيوان وكأنه يعيش معيشة الحيوان السقيم عبر التلميح لا التصريح في أدق استعمال لفنون اللغة من استعارة وكناية وغيرها المستوحاة من الطبيعة الحيّة المتحركة موافقة للجنس البشري ، ذلك هو سر اعجاز النص القرآني . وإن كل لفظ وضع بدقة ليؤدي نصيبه من المعنى أقوى وأسمى أداء كوسيلة للترهيب لتحقيق الغائية الدينية عبر ربط المتلقي بالنص بوشائج اسلوبية تكمن في ربط المتلقي بالواقع:

(١)
((ينعق))

قال تعالى : ﴿ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً ۚ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ [البقرة : ١٧١] نعق : نعق الراعي بالغنم نعيقاً صاح بها زجراً[١]

(١) العين أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي ، (ت ١٧٥هـ) ، تحقيق : مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي ، دار الرشيد للنشر ، بغداد ، ١٤٠٣هـ – ١٩٨١ : ١ / ١٧١ ، مجمل اللغة أبو الحسين أحمد بن زكريا ، ابن فارس ، (ت ٣٩٥هـ) ، دراسة وتحقيق : زهير عبد المحسن السلطان ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م : ١ / ٨٧٣ ، المحكم أبو الحسن علي بن إسماعيل ، ابن سيده (ت ٤٥٨هـ) ، تحقيق : عبد الحميد الهنداوي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م : ١ / ٢٢٥ ، القاموس المحيط مجد الدين أبو طاهر محمد ، الفيروز آبادي ، (ت ٨١٧هـ)، تحقيق : محمد نعيم العرقسوسي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت – لبنان ، ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م: ١ / ٩٢٦ .

. والناعق : الصائح ، يقال : قد نعق الراعي بالغنم ينعق بها إذا صاح [1] . قال الأخطل[2] :

انعق بضأنك يا جرير فإنّما　　　　منّتك نفسُك في الخلاءِ ضلالا

" والنون والعين والقاف كلمة واحدة تدل على صوت ، ونعق الراعي بالغنم ينعِق وينعَق " [3] .

وقوله تعالى مثل ضربه الله للكافر ﴿ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ ﴾ : مثل هذا الكافر كمثل البهيمة التي تسمع الصوت ولا تدري ما يقال لها ، وكذلك الكافر يقال له : ولا ينتفع بما يقال له [4] .

شبههم – سبحانه وتعالى – بالغنم المنعوق بها . بما لا يسمع منه الا الصوت ، فالمعنى مثلك يا محمد (ﷺ) ومثلهم كمثل الناعق والمنعوق به بما لا يسمع ؛ لأن سمعهم ما كان ينفعهم ، فكانوا في شركهم وعدم قبول ما يسمعون بمنزلة من لم يسمع والعرب تقول لمن يسمع ولا يعمل بما يسمع : أصم [5] وإنّ هذه البهائم تسمع الصوت ولا تفهمه ولا تنتفع به ولا تعقل ما يقال لها ، وكذلك الكافر [1] .

---

(١) الزاهد في معاني كلمات الناس محمد بن قاسم بن محمد ، أبو بكر الانباري، (ت ٣٢٨هـ) ، تحقيق : حاتم صالح الضامن ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٤١٢هـ – ١٩٩٢م : ١ / ١٧٩ ، الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية): أبو نصر اسماعيل بن حماد ، (ت ٣٩٣هـ) ، تحقيق : أحمد عبد الغفور العطار ، ط٤ ، دار العلم للملايين ، بيروت – لبنان ، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م : ٤ / ١٥٥٩ ، لسان العرب محمد بن مكرم بن علي جمال الدين ، ابن منظور ، (ت ٧١١هـ) ، دار صادر ، بيروت ، ط٣ ، ١٤١٤هـ : ١٠ / ٣٥٦ .

(٢) ديوان الأخطل : تحقيق : انطوان صالحاني ، بيروت ، ١٣٠٩هـ – ١٩٨٩م: ٥٠ .

(٣) مقاييس اللغة أبو الحسين أحمد بن زكريا ، ابن زكريا القزويني ، (ت ٣٩٥هـ) ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، دار الفكر ، ١٣٩٩هـ – ١٩٣٩م : ٥ / ٤٤٥ .

(٤) تفسير عبد الرزاق أبو بكر عبد الرزاق همام بن نافع الصنعاني ، (ت ٢١١هـ) تحقيق : محمود محمد عبدة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١٩هـ : ١/ ٣٠١ ، جامع البيان في تفسير القرآن محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله الإيجي ، (ت ٩٠٥هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٤م : ٣ / ٣٠٨ ، البحر المحيط محمد بن يوسف بن علي الاندلسي ، أبو حيان ، (ت ٧٤٥هـ) ، تحقيق : صدقي محمد جميل ، دار الفكر ، بيروت ، ١٤٢٠هـ – ٢٠٠٠م : ٢/١٠٥.

(٥) معاني القرآن واعرابه إبراهيم بن سري بن سهل ، أبو إسحاق الزجاج ، (ت ٣١١هـ) ، تحقيق : عبد الجليل عبدة الشلبي ، عالم الكتب ، بيروت ، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م : ١ / ٢٤٢ ، تفسير القرآن العظيم : أبو عبد محمد عبد

وفُهم هذا التمثيل المركب فهماً آخر قيل : معناه ومثلهم في دعائهم الأصنام كمثل الناعق بما لا يسمع(٢) ؛ لذا قيل : أن الآلهة الذين يعبدون من دون الله ، لا يسمعون ولا يجيبون ؛ لأنهم لا يعون ولا يتبينون ، وإن دعاء عبادهم لهم عبث لا طائل وراءه (٣).

إلاّ أن قوله – سبحانه وتعالى – ﴿ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً ﴾ لا يساعد على هذا ؛ لأن الأصنام لا تسمع شيئاً (٤) . والكفار كمثل المنعوق به ؛ لأن وصفهم بقوله تبارك وتعالى: ﴿ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْىٌ ﴾ كمثل البهائم (٥) ؛ كذلك أضيف التشبيه الى الراعي ، والمعنى في المرعي ؛ "لأن التشبيه نوعان : تشبيه مفرد بمفرد وحقّه أن يحمل أحدهما على الآخر (نحو زيد كالأسد) وتشبيه جمله بجملة ولا يراعى فيه مقابلة الألفاظ المفردة ، فلما شبه قصة الذين كفروا في إعراضهم عن الراعي لهم إلا الحق بقصة الناعق ، قدّم ذكر

الرحمن بن محمد بن ادريس ، الرازي بن أبي حاتم (ت ٣٢٧هـ) ، تحقيق : اسعد محمد الطيب ، مكتبة نزار مصطفى، المملكة العربية السعودية ، ١٤١٩هـ : ١١ / ٩٢ ، بحر العلوم أبو الليث نصر بن محمد بن إبراهيم ، السمرقندي ، (ت٣٧٣هـ)، تحقيق : محمود المطرجي ، دار الفكر ، بيروت ، د.ت : ١١٣/١ ، الوسيط في تفسير القرآن المجيد أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد علي الواحدي (ت ٤٦٨هـ) ، تحقيق : عادل أحمد عبد الموجود وآخرون ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ١٤١٥هـ – ١٩٩٤م : ١ / ٢٥٥ ، فتح القدير محمد بن علي بن محمد بن عبد الله ، الشوكاني ، (١٢٥٠هـ) ، دار ابن كثير ، دار الكلم الطيب ، دمشق – بيروت ، ١٤١٤هـ : ١ / ١١٤ .

(١) النكت والعيون أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري ، الشهير بالماوردي ، (ت ٤٥٠هـ) ، تحقيق : ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، د.ت : ١ / ٢٢١ ، الكشاف في حقائق غوامض التنزيل : أبو القاسم محمود بن عمر بن أحمد ، الزمخشري ، (ت ٥٣٨هـ) ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط٣ ، ١٤٠٧هـ : ١ / ٢١٤ .

(٢) معاني القرآن أبو حسن الحمجاشي ، البلخَي المعروف بالأخفش الاوسط ، (ت٢١٥هـ) ، تحقيق : هدى محمود قراعة ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ١٤١١هـ – ١٩٩٠م: ١ / ٥٣ ، النكت والعيون : ١ / ٢٢١ ، مفاتيح الغيب أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن الملقب بفخر الدين الرازي ، (ت ٦٠٦هـ) ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ١٤٢٠هـ : ٥ / ١٨٩ ، الكشاف: ١ / ٢١٤ .

(٣) التصوير الفني في القرآن سيد قطب حسين الشاربي(ت ١٣٨٥هـ)،عالم الكتب، القاهرة ، د.ت : ٤٢ .

(٤) الكشاف : ١ / ٢١٤ .

(٥) معاني القرآن أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله ، الفراء ، (ت ٢٠٧هـ) ، تحقيق : أحمد يوسف نجاتي وآخرون ، دار المصرية للتأليف والترجمة ، مصر ، د.ت : ١٣١ .

الناعق ليبني عليه ما يكون منه والمنعوق به" [(١)] ؛ لهذا نكون امام مثل مركب ضربه – سبحانه وتعالى – للكفار تنبيهاً للسامعين لهم إنما وقعوا فيما وقعوا فيه بسبب عدم الإصغاء ، وقلة الإهتمام بالدين ، فصيّرهم من هذا الوجه بمنزلة الأنعام، "ومثل هذا المثل يزيد السامع معرفة بأحوال الكفار ، ويُحقّر الى الكافر نفسه إذا سمع ذلك فيكون كسراً لقلبه ، وتضييقاً لصدره ، حيث صيره كالبهيمة فيكون في ذلك نهاية الزَّجر والردْع" [(٢)] وفي المثل داعٍ ومدعُوٍ ودَعوة ، وفهم وإعراض وتصميم وهذا من أبدع التمثيل . وقد أوجزته الآية الكريمة ايجازاً بديعاً [(٣)] .

ولفظ ((ينعِق)) في قوله ﴿ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً ۚ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ (البقرة : ١٧١) له مكانته في التلميح الى حال الكافر واستقلاله بأهمية كبيرة في مجال التأثير الوجداني ، ويؤكد تدني الكافر الى مستوى الحيوان ، وفيه تحقير وترذيل .

والحيوان يحفظ البصمة الصوتية للراعي ويستجيب له في الزجر أو في الدعاء به، لكن هؤلاء الكافرين تجردوا من الصفة الحيوانية ايضاً ؛ لذا هم شرّ الدّواب . ونلحظ في التعبير القرآني الدقيق أن (كفروا) جاء بصيغة الماضي و (ينعق) جاء بصيغة المضارع ؛ لأن المراد من اتصف بمطلق الكفر ، وأنّه تقبيح للكفر أن يذكر بصيغة يقتضي الدوام [(٤)] .

---

(١) تفسير الراغب الأصفهاني أبو القاسم الحسين بن محمد ، المعروف بالراغب الاصفهاني ، (ت ٥٠٢هـ) ، تحقيق : محمد عبد العزيز البسيوني ، كلية الآداب جامعة طنطا ، ١٤٣٠هـ – ١٩٩٩م : ١ / ٣٦٩ ، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون أبو العباس شهاب الدين أحمد بن يوسف ، المعروف بالسمين الحلبي (ت ٧٥٦هـ) ، تحقيق : أحمد محمد الخراط ، دار القلم ، دمشق ، د. ت : ٢ / ٢٣٣ .

(٢) مفاتيح الغيب : ٥ / ١٨٩ .

(٣) التحرير والتنوير(تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد) : محمد الطاهر بن محمد الطاهر ، ابن عاشور (ت ١٣٩٣هـ) ، دار التونسية للنشر ، تونس ، ١٩٨٤م : ٢ / ١١١ .

(٤) تفسير الإمام ابن عرفة محمد بن محمد بن عرفة ، أبو عبد الله ، (ت ٨٠٣هـ)، تحقيق : حسن المناعي ، مركز البحوث ، الزيتونة ، تونس ، ١٩٨٦م: ٢ / ٥٠٤ .

(٢)

((حَبِطتْ))

قال تعالى : ﴿ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ [البقرة :٢١٧] ورد هذا اللفظ في مواضع كثيرة [آل عمران : ٢٢] و [المائدة : ٥٣] و [الأعراف: ١٤٧] و [التوبة:١٧ و ٦٩] .

حَبِطَ : وجع يأخذ البعير في بطنه من كلأ يستوبله : حَبِطت الإبل تحبَط حَبَطاً . وحبط عمله : فَسَد ، وأحبطه صاحبه ، والله مُحبط عمل مَن أشرك[1] . والحبط : "أن تأكل الماشية الكلأ حتى تنتفخ بطنها" [2] .

ومن المجاز : حبط عمله حبوطاً وحَبْطاً بالسكون . وأحبط الله عمله . وتقول : إن عمل عملاً صالحاً اتبعه ما يحبطه ، وإن أصعد كلماً طيباً أرسل خلفه ما يهبطه ، استعير من حبط بطون الماشية إذا أكلت الخضر فاستوبلته وهلكت به [3] .

ومعنى حبطت في قوله تعالى : ﴿ فَأُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ ﴾ [البقرة : ٢١٧] بطلت اعمالهم فلا ثواب لهم في الدنيا والآخرة [1] ، وبطولها : ذهاب ثوابها ، وبطول الأجر عليها والجزاء في دار الدنيا والآخرة [2] ؛ لإنها كانت في غير إيمان [3] ،

---

(١) العين : ٣ / ١٧٤ ، تهذيب اللغة أبو منصور محمد بن أحمد ، الأزهري ، (ت ٣٧٠هـ) ، تحقيق: محمد عوض مرعب ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ٢٠٠١م : ٤ / ٢٢٨ ، المحكم : ٣ / ٢٤٦ ، لسان العرب : ٧ / ٢٧٠ .

(٢) جمهرة اللغة أبو بكر محمد بن الحسن ، ابن دريد (ت ٣٢١هـ) ، تحقيق : رمزي البعلبكي ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٨٢هـ :١ / ٢٨١ ، الصحاح : ٣ / ١١١٨ ، مجمل اللغة : ١ / ٢٦١ ، شمس العلوم وداء كلام العرب من الكلوم ، نشوان بن سعد الحميري ، (ت ٥٧٣هـ) تحقيق : حسين عبد الله العمري وآخرون ، دار الفكر المعاصرة ، بيروت ، ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م : ٣/١٣٣٤ .

(٣) اساس البلاغة أبو القاسم محمود بن عمرو عيسى أحمد ، الزمخشري ، (ت ٥٣٨هـ) ، تحقيق : محمد باسل عيون السود ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م : ١ / ١٦٥ ، تاج العروس محمد بن محمد بن عبد الرزاق ، الزَّبيدي ، (ت ١٢٠٥هـ) ، تحقيق : عبد الغفور أحمد وآخرون ، دار الهداية ، د. ت : ١٩ / ١٩٣ .

"والمراد بالأعمال: الأعمال التي يتقربون بها الى الله تعالى ويرجون ثوابها بقرينة اصل المادة ، ومقام التحذير ؛ لأنه لو بطلت الأعمال المذمومة لصار الكلام تحريضاً ، وما ذُكرت الأعمال في القرآن مع حبطت الا غيرَ مقيدةٍ بالصالحات اكتفاء بالقرينة" (٤) .

وأصل الحبوط هو انتفاخ بطن الدابة حين تتغدى بنوع سام من الكلأ ثم تلقى حتفها ، وهو أنسب شيء لوصف الأعمال إنها تنتفخ وأصحابها يظنونها صالحة ناجحة رابحة ثم تنتهي إلى البوار (٥) .

وهذا المرض يصيب الحيوانات المملوكة من ذوات الخُفّ وذوات الظّلف التي تستفاد منها يومياً . ولفظ (حَبط) له معنى خاص ووظيفة معنوية لايحققها لفظ (فسد) أو (بطل) وأثر تأثيرا بليغا في بناء أداء المعاني العامة للنص الكريم ، ومرتبط بالسياق الوارد فيه ؛ لأداء الغرض الديني .

وفي هذه استعارة ، علاقة تشابه بين المدلول الحسي للفظ (حبطت) وصورة أعمال الكافرين ، التي تكبر ، وتنتفخ في المظهر ، أو الشكل كانتفاخ بطن الدّابة ، ولكن لا قيمة لهذا الانتفاخ ؛ لأنه ناتج عن داء ، والنهاية تكون هلاك الدّابة ، كذلك أعمال الكافرين (٦) .

ولفظ (حبطت) مستمد من الطبيعة الحيّة المتحركة من واقع حياة الناس وقد ألبس التعبير القرآني هذا اللفظ لبوساً جديداً زاده تمكناً في النفس وتأثيراً فيه .

---

(١) تفسير مقاتل أبو الحسن مقاتل بن سلمان ، البلخي ، (ت ١٥٠هـ) تحقيق : عبد الله محمود شحاتة ، دار إحياء التراث ، بيروت ، ١٤٢٢هـ : ٢٦٨ .

(٢) جامع البيان في تفسير القرآن : ٤ / ٣١٧ .

(٣) تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة) محمد بن محمد بن محمود أبو منصور الماتريدي ، (ت ٣٣٣هـ) ، تحقيق : مجدي باسلوم ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م : ٥ / ٤٢٥ .

(٤) التحرير والتنوير : ٢ / ٣٣٣ .

(٥) في ظلال القرآن سيد قطب حسين الشاربي ، (ت١٣٨٥هـ) ، دار الشروق ، بيروت – لبنان ، ط١٧ ، ١٤١٢هـ : ٤ / ٢٢٩٥ .

(٦) وظيفة الصورة الفنية في القرآن عبد السلام أحمد الراغب ، دار فصلت للدراسات ، حلب ، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م : ١٣١ .

والشيطان يُزين للكافرين أعمالهم فيظنون أنهم أحسنوا صنعاً ، لكن الله تعالى سيضيع أعمالهم كأن لم تكن من قبل شيئاً قال تعالى : ﴿ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴾ [الفرقان :٢٣] وقال تعالى : ﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ ﴾ [ابراهيم : ١٨] وقال تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا ﴾ [النور : ٣٩] .

والغاية من وجود هذا اللفظ – حبطت – الدالة على الحيوان المصاب بداء في النصوص الكريمة هو تدني مستوى أعمال الكافرين وعدم قبوله لا في الدنيا ولا في الآخرة ؛ لأن أعمالهم كنفوق الحيوان لا محال .

(٣)
((لأحتنِكنَّ))

قال تعالى : ﴿ قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ (الاسراء : ٦٢) .

الحنكان : الأعلى والأسفل ، فإذا فصلوهما لم يكادوا يقولون للأعلى حَنك[١] ، والحَنَكُ : حنك الإنسان والدّابة وهو أعلى باطن الفم حيث يحنّك البيطار الدّابة [٢] . وحنكت الفرس أحنُكه وأحنِكهُ حَنكاً ، جعلت فيه الرَّسَن[*] ، وكذلك احتنكتُه . وأحتنَك الجراد الأرض ، أي : أكل ما عليها وأتى على نبتها [٣] .

وخُصّ الحنك لذوات الحافر [٤] .

(١) العين : ٣ / ٦٤ ، تهذيب اللغة : ٤ / ٦٥ ، لسان العرب : ١٠ / ٤١٦ .
(٢) جمهرة اللغة : ١ / ٥٦٤ .
(*) الرّسَن : الحبل ، ينظر العين : ٧ / ٢٤٢ .
(٣) مقاييس اللغة : ٢ / ١١١ ، الصحاح : ٤ / ١٥٨١ .
(٤) الفرق ابن فارس : ٥٥ .

والحَنْك : مصدر حَنك الدّابة يحنكها حَنْكاً ، إذا شدَّ في حنكها الأسفل حبلاً يقودها به[1]. ومعنـى (لأحتـنكن) فـي قولـه تعـالى : ﴿ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ ﴾ لأسـتولين علـى أولاده ولأحتوينهم ولاستأصلنهم بالإضـلال[2] ، وهو مـن حنـك الدّابـة ، حنـك دابتـه : يحنكهـا ، حَنْكاً إذا شدّ في حنكها الأسفل يقودها به [3] ، أي : لأقودنهم كيف شئت [4] .

ويقودهم الى المعاصي كما تقاد الدّابة بحنكها إذا شدّ فيه حبل يجذبها وهو افتعال من الحنك إشارة الى حنك الدابة [1] .

(١) اصلاح المنطق أبو يوسف يعقوب بن إسحاق ، ابن السكيت (ت ٢٤٤هـ) ، تحقيق : محمد مرعب ، دار احياء التراث العربي ، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٢م : ٦٠ ، أدب الكاتب ابن قتيبة أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدنيوري ، (ت ٢٧٦هـ) ، تحقيق : محمد الدالي ، مؤسسة الرسالة ، د. ت : ٤٧٨ ، لسان العرب : ١٠ / ٤١٦ .

(٢) الكشف والبيان عن تفسير القرآن أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي ، أبو إسحاق ، (ت ٤٢٧هـ) ، تحقيق : الامام أبي محمد بن عاشور ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت – لبنان ، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠٢م : ٦ / ١١٢ ، في ظلال القرآن : ٤ / ٢٢٣٨ .

(٣) تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة) : ٧ / ٧٦ ، بحر العلوم : ٢ / ٣١٩ .

(٤) غريب القرآن ابن قتيبة أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدنيوري ، (ت ٢٧٦هـ) ، تحقيق : أحمد صقر ، دار الكتب العلمية ، مصر ، ١٣٩٨هـ – ١٩٧٨م : ٢٥٨ ، غريب القرآن المسمى بنزهة القلوب : محمد بن عزير السجستاني ، أبو بكر، (ت٣٣٠هـ) ، تحقيق : محمد أديب عبد الواحد هجران ، دار قتيبة ، دمشق ، ١٤١٦هـ – ١٩٩٥م: ٤٩٨ ، زاد المسير جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن ، ابن الجوزي، (٥٩٧ هـ) ، تحقيق : عبد الرزاق المهدي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٤٢٢هـ : ٣ / ٣٦ .

وكأنه يملكهم كما يملك الفارس فرسه بلجامه [٢] ، وهو كناية عن إغوائهم واغرائهم وصرف أمرهم كيف يشاء .

وقيل : "يستولي عليهم كما يستولي الجراد على الزرع ، من قولهم احتنك الجراد الأرض أي : استولى بحنكه عليها ، فأكلها واستأصلها"[٣] واحتناك الجراد الأرض هي عملية الاستيلاء على الزرع كلياً .

ولفظ (لأحتنكنّ) اختزن أكثر من معنى مناسبة للمقام ، فيه طاقة وجدانية مؤثرة . عبر هذا التحول من مجال الإخبار الى مجال الرؤية ؛ لأن سماع هذا اللفظ يشبه الإدراك المرئي . وهذا اللفظ دل على الحيوان في احد معانيه ؛ لأن وضع الحبل على الحنك خاص بالحيوان ؛ ليسهل قيادته وفيه تحقير وترذيل وهبوط مستوى التابعين للشيطان وابتعادهم عن الصفات الانسانية .

وإن لفظ (لأحتنكن) معروف بين مستعمليه لا يكتنفه تداخل وغموض فنكون أمام مشهد تابع ومتبوع ، فالمتبوع مسلوب الإرادة كالأنعام يقوده التابع كيفما يشاء الى ما أراد . وهذا المشهد مأخوذ من الطبيعة الحية الموجودة في كل زمان ومكان ، باقٍ ما بقيت السموات والأرض . وأما كون (لأحتنكن) مأخوذ من احتناك الجراد الأرض فأيضاً فيه معنى الهلاك كما يهلك الجراد الزرع ؛ لأن الاحتناك : هو الاستيلاء على الشيء وأخذه كله .

---

(١) النكت والعيون : ٣ / ٢٥٤ ، تفسير القرآن للعز عبد السلام أبو محمد عزالدين عبد العزيز عبد السلام الملقب بسلطان العلماء (٦٦٠هـ) ، تحقيق: عبد الله بن إبراهيم ، دار ابن حزم ، بيروت ، ١٤١٦هـ – ١٩٩٦م : ٢ / ٢٢٣ .

(٢) غرائب القرآن ورغائب الفرقان نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين النيسابوري ، (ت ٨٥٠هـ) ، تحقيق : زكريا عميرات ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١٦هـ : ٤ / ٣٦٥ .

(٣) الوسيط في تفسير القرآن المجيد : ٣ / ١١٥ ، غرائب التفسير وعجائب التأويل محمود بن حمزة بن نصر أبو القاسم برهان الدين الكرماني ، (ت ٥٠٥هـ) ، دار القبلة للثقافة الاسلامية ، جدّة ، د.ت : ١ / ٦٣٣ ، المفردات في غريب القرآن أبو القاسم الحسين بن محمد ، المعروف بالراغب الاصفهاني ، (ت ٥٠٢هـ) تحقيق : صفوان عدنان الداودي ، دار القلم ، دمشق ، ١٤١٢هـ : ٢٦١ ، أنوار التنزيل وأسرار التأويل ناصر الدين أبو سعيد بن عمر بن محمد ، البيضاوي ، (ت ٦٨٥هـ) ، تحقيق : محمد عبد الرحمن الرعشلي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ١٤١٨هـ : ٣ / ٢٦٠ .

(٤)
((اخسؤوا))

قال تعالى : ﴿ قَالُواْ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ ﴿١٠٦﴾ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ﴿١٠٧﴾ قَالَ ٱخْسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴾ [المؤمنون : ١٠٦ – ١٠٨] .

(اخسؤوا) لفظ بليغ في الزجر خاصة لزجر الكلب أو الخنزير ؛ لأن يقال : خسأت الكلب إذا زجرته ، فقلت : اخسأ والخاسئ من الكلاب والخنازير[١] . قال ابن المُرَحَل (ت ٦٦٩ هـ) في نظمه لمتن فصيح ثعلب[٢] :

وقد خسأت الكلبَ إذا قلتَ : إخسأ   ليبعد الكلبُ وللقطِ إغسأ

ومن المجاز يقال : اخسأ اليك ، وإخسأ عني[٣] خسأت الكلب وخسأ الكلب ، وهو إبعاد بمكروه ، وذلك أن يقول له : إخسأ أي : ابعد ؛ لأنه يقال : قد خسأ الكلب نفسه ، غير متعدٍ . وإنما الأصل في ذلك ان يقال : خسأت بالكلب ، فيتعدى بالباء ، أو

(١) العين : ٤ / ٢٨٨ ، الفرق قطرب : ١٨٣ ، الفرق السجستاني : ٢٥٩ ، الزاهد في معاني كلمات الناس : ٢ / ٤٣ ، معجم ديوان الأدب : ٤ / ٢٢٧ ، تهذيب اللغة : ٧ / ٢٠٢ ، الصحاح : ١ / ٤٧، المحكم : ٥ / ٢٢٩ ، لسان العرب : ١ / ٦٥ .

(٢) متن موطأ الفصيح نظم فصيح ثعلب مالك عبد الرحمن ، ابن المرحّل ، (ت ٦٩٩هـ) ، تحقيق : عبد الله بن محمد اللحمي ، دار الذخائر للنشر ، المملكة العربية السعودية ، ١٤٢٣هـ – ١٩٧١م : ١٥ .

(٣) اساس البلاغة : ١ / ٢٤٦ ، لسان العرب : ١ / ٦٥ .

اخسأته، فيتعدى بالهمزة ، فحذف ذلك اختصاراً وتخفيفاً ؛ لكثرة استعماله ، وزوال اللبس عنه [(١)] .

وقوله تعالى في صفة الكافرين (ٱخۡسَـُٔواْ فِيهَا) خطاب إهانة للكافرين الذين يدعون ربهم ﴿ رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا مِنۡهَا ﴾ من هول العذاب فلا يجيبهم مقدار الدنيا ثم يكون جوابه لهم[(٢)] (ٱخۡسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ) [المؤمنون : ١٠٨] فلا يتكلمون فيها ابداً ، فانقطع عند ذلك الدعاء والرجاء منهم واقبل بعضهم ينبح في وجه بعض[(٣)].

و (ٱخۡسَـُٔواْ فِيهَا) أي : ابعدوا من رحمتي وعطفي ، فعبّر عن هذا بلفظ اخسؤوا الخاص بزجر الكلاب . وعلاقة لفظ (اخسؤوا) بالمقام في الآية الكريمة علاقة الدال بالمدلول، وتفرده في الموضوع واستيعابها له ، من خلال ظلاله .

ويقال ان هذه الكلمة إذا سمعوها يئسوا من كل خير فتنطبق عليهم جنهم ويقع اليأس[(٤)].

ولفظ (اخسؤوا) يدل على تدني مستوى الكافرين وهبوط الأسس الانسانية عندهم وشناعة تصرفاتهم وبعدهم عن الصفات الانسانية . أي : " اسكتو في النار سكوت هوان فإنها

---

(١) تصحيح الفصيح وشرحه أبو محمد عبد الله بن جعفر بن محمد ، ابن درستويه (٣٤٧هـ) ، تحقيق : محمد بدوي المختون ، المجلس الأعلى للشؤون الاسلامية ، القاهرة ، ١٤١٦هـ – ١٩٩٨م : ٧٤ .

(٢) تفسير يحيى بن سلام يحيى بن سلام بن أبي ثعلبة ، (ت٢٠٠هـ) ، تحقيق : هند شلبي ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ١٤٢٥هـ – ٢٠٠٤م : ١ / ٤١٨ .

(٣) جامع البيان في تأويل القرآن محمد بن جرير بن يزيد ، أبو جعفر الطبري (ت ٣١٠هـ) ، تحقيق: أحمد محمد شاكر ، مؤسسة الرسالة ، ١٤٢٠هـ – ٢٠٠٠م : ١٩ / ٧٧ ، الوسيط في تفسير القرآن المجيد : ٣ / ٢٩٩ ، الجامع لأحكام القرآن أبو عبد الله محمد بن أحمد بن فرج ، شمس الدين القرطبي ، (ت ٦٥١هـ) ، تحقيق : أحمد البردوني و إبراهيم اطفيش ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ط٢ ، ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤م : ١٢ / ١٥٤ ، البحر المحيط : ٧ / ٥٨٦ .

(٤) الجواهر الحسان في تفسير القرآن أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي ، (ت ٨٧٥هـ) ، تحقيق : محمد علي معوض وعادل أحمد عبد الموجود، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ١٤١٨هـ : ٤ / ١٦٤ .

ليست مقام سؤال ، وانزجروا انزجار الكلاب " [١] . فيمكثون في العذاب خاسئين أي : اذلاء صاغرين حقيرين ؛ لأن لفظ (اخسأ) يقال : للحقير الدليل كالكلب ونحوه (**ٱخۡسَـُٔواْ فِيهَا**) أي : ذلّوا فيها ماكثين في الصغار والهوان [٢] .

ودلّ لفظ (اخسؤوا) على الجانب القبيح من الحيوان ، هو زجر الحيوان ؛ لاننا نرى الكلب في وقت الدعاء به بغير العين الذي نراه في وقت الزجر .

ونلحظ ان (اخسؤوا فيها) قد اختزن معاني كثيرة والتركيز على الجانب القبيح والسلبي من الحيوان فضلاً عن دونية الكافرين مع ربط المتلقي بالنص بوشائج متينة يكمن في ربط المتلقي بالواقع .

(٥)
((ولا تصعِّر))

قال تعالى : ﴿ ئى ئې ئى ئى ئد ى ى ي ئج ئح ئم ئى ئي بج بح بخ ﴾ [لقمان : ١٨] .

الصعر : ميل في العنق ، وانقلاب في الوجه الى أحد الشّقّين . والتصعير : إمالة الخد عن النظر الى الناس تهاوناً من كِبر وعظمة [٣] .

ويقال : "أصاب البعير صَعَر وصَيد أي : اصابه داء يلوي عُنقه" [٤] . قال الشاعر[٥]:

وكنا إذا الجبّار صعَّرَ خدَّه أقمنا له مِن ميلهِ فتقوَّما

و" الصاد والعين والراء أصل مطرد يدلّ على ميل في الشيء من ذلك الصَّعَرُ ، وهو الميل في العنق ، والتصعير إمالة الخدِّ عن النظر عُجباً " [١] .

---

(١) روح المعاني روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني : شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الآلوسي ، (ت ١٢٧٠هـ) ، تحقيق : عبد الباري عطية ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١٥هـ – ١٩٩٤م : ٦ / ١١٩ .

(٢) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن : محمد الأمين بن محمد المختار ، الشنقيطي ، (ت ١٣٩٣هـ) ، دار الفكر للطباعة والنشر ، بيروت – لبنان ، ١٤١٥هـ – ١٩٩٥م: ٥ / ٣٩٥ .

(٣) العين : ١ / ٢٩٨ ، تهذيب اللغة : ٢ / ١٨ ، لسان العرب : ٤ / ٤٥٦ ، تاج العروس : ٣١٥/١٢.

(٤) تهذيب اللغة : ٢ / ١٩ ، لسان العرب : ٤ / ٤٥٦ .

(٥) نسب البيت الى اكثر من واحد وروي – أقمنا له مِن دَرْئِه فتقوّما – ينظر : الصحاح : ٢ / ٧١٢ ، المحكم : ١ / ٤٣٢ .

وكل من مال وجهه كِبراً وإعراضاً وتحقيراً ، فيه صَعَر .

وقوله تعالى على لسان لقمان وهو يعظ ابنه (ئى ئى ئې ئى ئى) فيه تمثيل كنائي ؛ لأن أصل (الصعر) يأخذ الإبل في اعناقها أو رؤوسها حتى تلفت أعناقها عن رؤوسها ، فيشبه به الرجل المتكبر على الناس [٢] .

والعرب تشبه ذا الكِبر من الرجال إذا صعّر خدّه ، وزمَّ أنفه بذلك البعير في تلك الحال[٣] .

وقيل الصيعرية ، سمة في عنق البعير [٤] ، وقيل سمة من سمات النوق في أعناقها[٥]. والبادي ان (الصَّعر) سمة من سمات الإبل الإناث لا الذكور [٦] .

نلحظ أن (الصَّعَر) في الأصل اللغوي داء في الناقة – الانثى من الابل – يلوي عنقها منه ، ثم انتقل اللفظ من دلالته الحسية الى دلالة معنوية ، وهي ميل الخدّ عن الناس عند الحديث معهم ، فلا ينظر اليهم كِبراً واستخفافاً منه .

---

(١) مقاييس اللغة : ٣ / ٢٨٨ .

(٢) جامع البيان في تفسير القرآن : ٢٠ / ١٤٣ ، الكشف والبيان في تفسير القرآن : ٧ / ٣١٥ ، اللباب في علوم الكتاب : ١٥ / ٤٥٠ .

(٣) مجاز القرآن أبو عبيدة معمر بن مثنى التيمي البصري ، (ت ٢٠٩هـ) ، تحقيق : محمد فؤاد سركين ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ١٣٨١هـ : ٢ / ١٢٧ ، الحيوان : ٣ / ١٦٧ ، المعاني الكبير في ابيات المعاني أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدنيوري (ت ٢٧٦هـ) ، تحقيق : سالم الكرنكوي وعبد الرحمن بن يحيى ، مطبعة دار المعارف العثمانية ، حيدر ، آباددكن ، الهند ، ١٣٦٨هـ – ١٩٤٩م : ٢ / ٦٠٦ .

(٤) معجم ديوان الأدب أبو إبراهيم إسحاق بن الحسين الفارابي ، (ت٣٥٥هـ) ، تحقيق : أحمد مختار عمر وإبراهيم أنيس مؤسسة دار الشعب ، القاهرة ، ١٤٢٤هـ – ٢٠١٣م : ٢ / ٤٥ ، تهذيب اللغة : ٢ / ١٩ ، شمس العلوم : ٦ / ٣٧٤٦ .

(٥) مقاييس اللغة : ٣ / ٢٨٨ ، القاموس المحيط : ٩٢٧ ، لسان العرب : ٤ / ٤٥٧ .

(٦) جمهرة أشعار العرب أبو زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي ، (ت ١٧٠هـ)، تحقيق : علي محمد البجادي ، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع ، د.ت : ٨٧ ، المعاني الكبير في ابيات المعاني : ٥٧٥/١ ، العقد الفريد : ٢٠٦/٦ .

ويستثمر القرآن هذا اللفظ في اظهار المعاني الاخلاقية في صورة حسية والاسلوب القرآني يختار هذا التعبير للتنفير من الحركة المشابه للصَّعر ، حركة الكِبر والازورار، وإمالة الخدّ للناس في تعالٍ واستكبار [١] ، وصيغ له صيغة تكلّف إظهار الصَّعر وهو تمثيل للاحتقار ؛ لأن مصاعرة الخدّ هيئة المحتقر المستخف في عالم الأحوال [٢] .

وهذا التمثيل الكنائي مستوحىً من الطبيعة الحيّة موافقة للجنس البشري ، ذلك هو سر خلود النص القرآني الكريم .

وان لفظ (الصّعر) وضع في الآية الكريمة بدقة ليؤدي نصيبه ، من المعنى اقوى وأسمى أداء كوسيلة للتعبير عن الغائية الدينية ، وهي بناء الانسان فكراً وسلوكاً وشعوراً .

واكتفت الآية الكريمة باللمحة الدالة بالاعتماد على فنون اللغة بغناها وربطت بين المتلقي والنص بروابط متينة يكمن في ربط المرء بالواقع . واثارته الى يوم الدين .

فقوله تعالى : **(ئى ئې ئى ئى)** يؤكد أن تقبل على الناس بوجهك متواضعاً ، ولا تولِّهم شقّ وجهك وصفحته ، كما يفعل المتكبرون[٣] فتكون مثل الناقة المصابة بداء الصَّعر . ويهبط الأسس الانسانية عندك وآدميتك تهبط الى دونية الحيوان.

(٦)

((الهيم))

قال تعالى : ﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ ٱلْمُكَذِّبُونَ ﴿٥١﴾ لَأَكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ ﴿٥٢﴾ فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴿٥٣﴾ فَشَٰرِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْحَمِيمِ ﴿٥٤﴾ فَشَٰرِبُونَ شُرْبَ ٱلْهِيمِ ﴾ [الواقعة : ٥١ – ٥٥]

الهيم : الإبل العِطاش [٤] والهيم : الرمل يشرب أهل النار كما تشرب السِّهلة ، والسِّهلة: الارض التي يكثر فيها الرمل[٥] .

(١) في ظلال القرآن : ٥ / ٢٧٩٠ .

(٢) التحرير والتنوير : ٢١ / ١٦٦ .

(٣) الكشاف : ٣ / ٤٩٧ .

(٤) اصلاح النطق : ٢٧ ، جمهرة اللغة : ٢/ ٩٩٥ ، تهذيب اللغة : ٦ / ٢٤٦ ، الصحاح : ٥ / ٢٦٣ ، لسان العرب : ١٢ / ٨٢٧ .

(٥) تهذيب اللغة : ٦ / ٢٤٧ ، تاج العروس : ٣٤ / ١٣٣ .

و" الهاء والياء والميم كلمة تدل على عطش شديد . فالهيمان : العطشان . والهيم : الإبل العِطاش . والهيم : الرمال التي تبتلع الماء . والهيام : داء يأخذ الإبل عند عطشها فتهيم في الأرض فلا ترتوي . وبه سمي العاشق الهيمان ، كأنه جُنّ من العشق فذهب على وجهه على غير قصد " [١] .

والهيم : "الإبل يصبها داء يعرض لها منه عطش فلا ترتوي أبداً" [٢] .

وقوله تعالى : ﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ ﴿٥١﴾ لَآكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ ﴿٥٢﴾ فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ ﴿٥٣﴾ فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ ﴿٥٤﴾ فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ ﴾ [الواقعة : ٥١ – ٥٥] تشبيه تمثيلي وسئل ابن عباس (رضي الله عنهما) عن معنى (الهيم) في قوله تعالى : (فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ) قال : الإبل يأخذها داء يقال له : الهيام فلا تروى من الماء . قال: فشبه شرب أهل النار من الحميم بشرب الإبل الهيم [٣] ؛ ذلك إنه يلقى على أهل النار العطش حتى يشربوا شراب الهيم[٤] ، فلا تزال تشرب حتى تهلك [٥] .

ووصف سبحانه وتعالى شرب أهل النار الحميم بأنه كشرب الهيم ؛ لأنه أكثر شراباً فكان أزيد عذاباً [٦] . أي : لا يكون أمركم أمر من شرب ماءً حاراً مُنتناً فيمسك عنه بل

---

(١) مقاييس اللغة : ٦ / ٢٦ .

(٢) الإبانة في اللغة سلمة بن مسلم الصحاري ، (ت ٥١٠هـ) ، تحقيق : عبد الكريم خليفة وآخرون ، وزارة التراث القومي والثقافة ، مسقط سلطنة عمان ، ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م : ٤ /٦٠٥ ، المفردات في غريب القرآن : ٥٤٦ ، حياة الحيوان الكبرى محمد بن موسى بن عيسى بن علي الدميري ، (ت ٨٠٨هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١٢م : ٢/٥١٠.

(٣) غريب القرآن في الشعر (مسائل ابن الأزرق) عن الصحابي عبد الله بن العباس بن عبد المطلب القرشي الهاشمي، أبو العباس، (ت٦٨هـ)، دار الفكر ، القاهرة ، د.ت : ٢٢٢ .

(٤) تفسير مقاتل : ٢ .

(٥) جامع البيان في تفسير القرآن : ٢٢ / ١٣٥ ، معاني القرآن واعرابه : ٥ / ١١٣ ، تفسير القرآن : ٣٤٥/٥ .

(٦) النكت والعيون : ٥ / ٤٥٧ . وينظر الفاظ الحيوان والنبات في القران الكريم دراسة دلالية .اطروحة دكتوراه ، كلية الآداب، ٢٠٠٢ ص ٢٨.

يلزمكم أن تشربوا منه كما تشرب الهيم وهي الجمال التي أصابها العطش فتشرب ولا تروى وهذا البيان في الشرب لزيادة العذاب[١] وإذا قيل : صح عطف الشاربين على الشاربين ، وهما لذوات متفقة ، وصفتان متفقتان ، فكان عطفاً للشيء على نفسه ، قيل : ليست متفقتين ، من حيث كونهم شاربين للحميم على ما هو عليه : من تناهي الحرارة وقطع الأمعاء أمر عجيب وشربهم على ذلك كما تشرب الهيم أمر عجيب ايضاً ، فكانتا صفتين مختلفتين [٢] وكل من المعطوف والمعطوف عليه أخص من الآخر فحسن العطف [٣] . فإن شارب الحميم قد لا يكون به داء الهيام ومن به داء الهيام قد يشرب غير الهيم ، والشرب الذي لا يحصل الري ناشيء عن شرب الهيم[٤] .

وفي النص الكريم (فَشَٰرِبُونَ شُرْبَ ٱلْهِيمِ) صورة مستمدة من الواقع المألوف فيها تلميح على تدني مستوى الكافرين الى دونية الحيوان السقيم .

فقوله تعالى : ﴿ فَشَٰرِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْحَمِيمِ ﴿٥٤﴾ فَشَٰرِبُونَ شُرْبَ ٱلْهِيمِ ﴾ [الواقعة : ٥٤ – ٥٥] مشهد من مشاهد يوم القيامة فيه تشبيه تمثيلي مستمد من الطبيعة المتحركة الحيوانية ، لا يتأثر بتقادم الزمن ، ويحقق معنى الهول والشدة ، ويؤثر في الفكر والنفس ونلحظ في هذا المشهد ان (شرب الهيم) اوفى بالكلمات القليلة المعاني النفسية التي توجب بها الآيات الكريمة في النص الكريم ، ومرتبطة بالسياق الوارد فيه وما بينهما من علاقات وروابط يشكل مشهد عذاب الكافرين في اقصى درجاته ، وكل هذا تمثيل ؛ لتقريب صورة العذاب

(١) مفاتيح الغيب : ٢٩ / ٤١٥ ، اللباب في علوم الكتاب أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل النعماني ، (ت ٧٧٥هـ) ، تحقيق : عادل أحمد عبد الوجود وعلي محمد عوض ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م : ١٨ / ٤١١ .

(٢) الكشاف : ٤ / ٤٦٤ ، مدارك التنزيل وحقائق التأويل أبو بركات عبد الله بن احمد بن محمود النسفي، (ت ٧١٠هـ) ، تحقيق : يوسف علي بديوي ، دار الكلم الطيب ، بيروت ، ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م : ٣ / ٤٢٥ ، البحر المحيط : ١٠/ ٨٧ ، البحر المديد البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ، أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي الناسي الصوفي ، (ت ١٢٢٤هـ) ، تحقيق : أحمد عبد الله القرشي رسلان ، الناشر : حسن عباس زكي ، القاهرة ، ١٤١٩هـ : ٧ / ٢٩٥ .

(٣) جامع البيان في تفسير القرآن : ٤ / ٢٥٠ .

(٤) روح المعاني : ١٤ / ١٤٦ .

في أذهان الناس ، لتحقيق الغائية الدينية ، هي هداية الناس بالترهيب ، ولعذاب الله أشد وأقسى من هذا التشبيه التمثيلي .

(٧)

((زنيم))

قال تعالى : ﴿ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ۝١٠ هَمَّازٍ مَّشَّآءٍ بِنَمِيمٍ ۝١١ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ **دمثائاثا ئـءئـ ئو** ﴾ [القلم : ١٠ – ١٣] .

الزنيم : زنمنا العنز من الأذن .... والزنمة اللحمة المتدلية في الحلق والزَّنمة والزُّنمة شيء واحد .... والزنيم الدَّعي [١] . والزَّنمةُ : شيء يقطع من أذن البعير فيترك معلقاً[٢] . أي : قطع بلا فصل وزنمت الشاة والبعير زَنْماً جعلتُ لها زنمة [٣] .

والزنيم : الذي له زنمتان في حلقه [٤] والزنيم : الملصق بالقوم وليس معهم ولا منهم[٥]، لا يحتاج اليه فكأنه فيهم زنمة [٦] .

والزنمة : لغة في الزَّلمة [٧] ؛ لذا قالوا : الزّلمة : الهَنةُ المتدليةُ من عنق الماعزة ولها زلمتان [٨] .

وإذا كان الرجل مدخولاً في نسبه مضافاً الى قوم ليس منهم فهو دَعّي . ثم ملصق. ومُسند . ثم مزلّج ، ثم زنيم [٩] .

ومعنى زنيم في قوله تعالى : (**ئائـءئـئو**) هو الرجل الذي يعرف بالشرِّ كما تعرف الشاة بزنمتها [١٠] ، .

---

(١) العين : ٧ / ٣٧٥ ، تهذيب اللغة : ١٣ / ١٥٧ ، لسان العرب : ١٢ / ٢٧٥ .

(٢) الصحاح : ٥ / ١٩٤٥ .

(٣) كتاب الأفعال علي بن جعفر بن علي السعدي ، ابن القطاع ، (ت ٥١٥هـ) ، عالم الكتب ، ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م : ٢ / ٩٤ .

(٤) تهذيب اللغة : ١٤ / ٢٦٨ ، لسان العرب : ١ / ٥٦٨ .

(٥) جمهرة اللغة : ٢ / ٨٢٨ .

(٦) لسان العرب : ١٢ / ٢٧٧ ، القاموس المحيط : ١ / ١١١٩ .

(٧) معجم ديوان الأدب : ١ / ١٤٦ .

(٨) مقاييس اللغة : ٣ / ٣٠ .

(٩) فقه اللغة وسر العربية : ٢٥١ .

(١٠) معاني القرآن واعرابه : ٥ / ٢٠٦ ، بحر العلوم : ٣ / ٤٨٣ ، فتح القدير : ٥ / ٣٢٣ .

وقد ذكر سبحانه وتعالى عيوب الوليد بن مغيرة إذ وصفه بالحلف ، والمهانة ، والغيب للناس ، والمشي بالنمائم ، والبخل ، والظلم والاثم ، والجفاء ، والدعوة[١] ، ثم قال سبحانه : ﴿سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلْخُرْطُومِ﴾ [القلم : ١٦] فالحق به عاراً لا يفارقه في الدنيا والآخرة .

وهذه الأوصاف التسعة الشنيعة لم يدخل بينهما – سبحانه وتعالى – واو العطف ، ليدل ان هذه الخصائل والرذائل متفقة في الشناعة والقبح .

والزنيم : صفة مشبهة وزنه فعيل بمعنى فاعل ، أي : عالق بالقوم كزنمة الشاة ، وكان هذا الرجل مشهوراً كشهرة الشاة ذات الزنمة من بين أخواتها [٢] .

وقوله تعالى : ﴿ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾ هَمَّازٍ مَّشَّآءٍۭ بِنَمِيمٍ ﴿١١﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ دمئائائـ ئـ ئو ﴾ (القلم : ١٠ – ١٣) مقام هجاء وذم يُقرب من مقام الوعيد ، وفيه بيان مظهره الخارجي ليعرفه الناس ولينزجروا عن إتباعه .

فالوليد بن المغيرة كالعَنز ذات الزنمتين مشهور كشهرة العنز التي تختلف عن اخواتها ؛ لأنّ الزنمة لا تكون في كل أنواع المعزى ، وكأنها عيب خلقي . فهو الزائد في القوم وليس منهم تشبيهاً بالزنمتين من الشاة [٣] .

وفي الآيات الكريمة هجاء وذم و (الزنيم) خاتمة هذه الصفات الكريهة ، والقصد من هذه الصفة الأخيرة تدني مستوى هذا اللئيم الفاحش وبعده عن الصفات الآدمية للتحذير منه والابتعاد عنه ، فالوليد له زنمة صفة ظاهرة، وتوعد الله سبحانه بأن يجعل له سمة ظاهرة أخرى في أنفه وفعلاً جعل له هذه السمة فقاتل يوم بدر ، فخطم أنفه بالسيف [٤] .

---

(١) الوسيط في تفسير القرآن المجيد : ٤ / ٣٣٦ ، زاد المسير : ٤ / ٣٢٢ .

(٢) تفسير ابن كثير : ٨ / ١٩٣ وينظر الفاظ الحيوان والنبات في القران الكريم دراسة دلالية .ص ١١٩.

(٣) مجمل اللغة : ١ / ٤٤١ ، المفردات في غريب القرآن : ٢١٥ .

(٤) جامع البيان لأحكام القرآن : ٢٣ / ٥٤٠ – ٥٤١ ، زاد المسير : ٤ / ٣٢٢ ، اللباب في علوم الكتاب : ١٩ / ٢٨٤ .

(٨)
((الخرطوم))

قال تعالى : ﴿سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلۡخُرۡطُومِ ﴾ [القلم : ١٦]

الخرطوم : الأنف [١] ويقال لـه من السِّباع : الخُطم والخرطوم[٢] و"الخرطوم للفيل وهو أنفه"[٣] وقيل : أن الخرطوم هو أنف البعير[٤] وقيل : الخرطوم لا يستعمل الا في الفيل والخنزير[٥] ، و"للبعوضة خرطوم إلا أنّ خرطومها مجوّف" [٦] ، وقد يستعمل للإنسان للتحقير والترذيل ؛ لذا قالوا : في قوله تعالى : (سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلۡخُرۡطُومِ) استعارة [٧] ، فسمي أنفه خرطوماً استقباحاً له [٨] ، وفيه غاية الإذلال والإهانة .

والمقصود في قوله تعالى : (سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلۡخُرۡطُومِ) هو الوليد بن مغيرة[٩] ، قاتل في يوم بدر ، فخطم بالسيف في القتال ، ليبين سبحانه أمره بياناً واضحاً حتى يعرفونه ، فلا

---

(١) العين : ٤ / ٣٣٣ ، معجم ديوان الأدب : ٢ / ٦٦ ، التلخيص في معرفة اسماء الاشياء أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل ، العسكري ، (ت ٣٩٥هـ) ، تحقيق : عزة حسن ، دار الطلاس للدراسات والترجمة ، دمشق ، ١٩٦٦م: ٤٩ .

(٢) الفرق : السجستاني : ٢٢٨ ، فصيح ثعلب : أبو العباس أحمد بن يحيى ، (ت ٢٩١هـ) ، تحقيق : صبح التميمي ، دار شهاب ، الجزائر ، ١٤٠٦هـ – ١٩٨٥م: ٣٢٢ ، تهذيب اللغة : ٧ / ١١٦ ، الفرق : ثابت : ١ / ٩١.

(٣) المفردات في غريب القرآن : ٢٧٩ ، لسان العرب : ١٢ / ١٧٣ .

(٤) الفرق : قطرب : ٤٨ ، الفرق : ابن فارس : ٥٥ .

(٥) الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية : أيوب بن موسى الحسيني ، أبو البقاء الكفوي ، (ت ١٠٩٤هـ) ، تحقيق : عدنان درويش ومحمد المصري ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، د.ت: ١ / ٢٢٨ .

(٦) الحيوان : ٢ / ١٠٣ .

(٧) الصاحبي في فقه اللغة الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها : أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا القزويني ، ابن فاس ، (ت ٣٩٥هـ) ، نشر محمد علي بيضون ، ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م : ١٥٠ ، المزهر المزهر في علوم اللغة وانواعها : عبد الرحمن بن أبي بكر ، جلال الدين السيوطي ، (ت ٩١١هـ) ، تحقيق : فؤاد علي منصور ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١٨هـ – ١٩٩٨م : ١ / ٢٨٢ .

(٨) المفردات في غريب القرآن : ٢٧٩ .

(٩) تفسير مقاتل : ٤٠٥ ، مفاتيح الغيب :٣٠ / ٦٠٧ .

يخفى عليهم ، كما لا تخفى السمة على الخرطوم[١] . وقد وسم ميسم سوء ، يريد انه ألصق به عاراً لا يفارقه ، كما أنه السمة لا يعفو أثرها [٢] . وإنما ذكر الخرطوم هنا على سبيل الاستخفاف به ؛ لأن التعبير عن أعضاء الناس بالأسماء الموضوعة ، لأشباه تلك الأعضاء من الحيوانات يكون استخفافاً [٣] ، كما يعبر عن أرجل الناس بالأظلاف قال الشاعر [٤] :

سأمنعها أو سَوْفَ أجعلُ أمْرها		إلى مَلِكٍ أظلافُهُ لم تشقَّق

وكما يعبر عن شفاه الناس بالمشافر قال الشاعر [٥] :

فلو كنت ضبيّاً عَرفتَ قرابتي		ولكنَ زنجياً عظيم المشافِرِ

وقوله تعالى (سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلْخُرْطُومِ) مجاز مرسل ؛ لأنّ الخرطوم في أصل وضع اللغة خاص بالسّباع .

والعدول عن الأنف الى الخرطوم فيه ملحظ التحقير والهبوط بآدمية ذلك المفتون الجافي اللئيم الى دونية البهائم والدّواب [٦] .

ومن طبيعة العرب انهم يضعون وسماً خاصاً لحيواناتهم يحتفظون به لسنوات عدّة ، ويفتخرون به .

والمعنى سنعامله معاملة يُعرف بأنه عبدنا ، وأنه لا يغني عنه ماله وولده منّا شيئاً ، فالرسم تمثيل تتبعه كناية عن التمكن منه واظهاره عجزه [٧] .

ولا يكاد يطلق لفظ (الخرطوم) إلا على الأنف الفاحش الموحش مثل الخنزير والكلب والفيل والبعوضة ، وسلب سبحانه وتعالى عن الوليد حتى الاستحقاق والاختصاص

(١) جامع البيان لأحكام القرآن : ٢٣ / ٥٤٠ – ٥٤١ ، زاد المسير : ٤ / ٣٢٢ ، الجامع لأحكام القرآن: ١٨ / ٢٣٧ ، اللباب في علوم الكتاب : ١٩ / ٢٨٤ .

(٢) بحر العلوم : ٣ / ٤٨٢ ، الوسيط في تفسير القرآن المجيد : ٤ / ٣٣٦ ، مفاتيح الغيب :٣٠ / ٦٠٦.

(٣) مفاتيح الغيب : ٣٠ / ٦٠٦ – ٦٠٧ ، البحر المحيط : ١٠ / ٢٤٠ .

(٤) البيت في البديع في نقد الشعر : ١٥٩ مغزو الى الأعشى ولم نجده في ديوانه ، وفي المحكم ١٢/١٠ مغزو الى الأخطل لم نجده في ديوانه .

(٥) البيت في جمهرة اللغة : ٣ / ١٣١٢ وفي المحكم : ٨ / ٤٦ منسوب الى الفرزدق ولم أجده في ديوانه.

(٦) التفسير البياني للقرآن الكريم : ٢ / ٦١ .

(٧) التحرير والتنوير : ٢٩ / ٧٧ .

بالخرطوم ، اذا لم يُضف (الخرطوم) اليه ، كأنه لم يستحق ان يجعل له خرطوماً كسائر الحيوانات لعدم المبالاة به ؛ لأنّه شر الدّواب .

ولفظ (الخرطوم) في الآية الكريمة سماعه يشبه الإدراك المرئي فاتخذ بعداً مكانياً ، واختزن معاني كثيرة مناسبة للمقام وقام بنقل المشاعر في صيغة مغايرة للاستعمال المعهود .

و(الخرطوم) من الألفاظ الدالة على الحيوان ، وكان الوسم من طبيعة العرب في الحيوانات المملوكة ، ولا يكون الوسم في الأنف إلا أن الوليد بن المغيرة كان وسمه على أنفه بعدما أستعير له هذا اللفظ الدّال على الحيوانات غير المملوكة . والأنف موضع اعتزاز العربي ؛ لذلك جعلوه مكان العز والحمية واشتقوا منه الأنفة . فعبّر بالوسم على الخرطوم عن غاية الإذلال استخفافاً به واستهانة (١).

الخاتمـة

بعد الانتهاء من هذه الرحلة العلمية – بحمد الله ومنه – نوجز فيما يأتي أهم ما توصل اليه البحث ، مع تجنب ذكر جزئيات المسائل ؛ لأنها مذكورة في البحث :–

١– استثمر القرآن الكريم الألفاظ الدالة على الحيوان ليظهر تدني مستوى الكافرين إلى دونية الحيوان عبر التلميح لا التصريح .

٢– ضرب الله المثل للكافر وشبهه بالبهيمة التي تسمع الصوت ولا تدري ما يقال لها ، بل بعض الحيوانات المملوكة يحفظ البصمة الصوتية للراعي ويستجيب له في الزجر أو الدعاء به ولكن الكافرين تجردوا من الصفة الحيوانية ايضاً ؛ لذا هم شر الدّواب .

٣– تبين أنّ أعمال الكافرين سيضيع حتماً ؛ لأنها كانت في غير إيمان فأعمالهم تكبر وتنتفخ كانتفاخ بطن الدابة ولكن لا قيمة لهذا الانتفاخ ؛ لأنّه ناتج عن داء ، فيذهب أعمالهم هباءً منثوراً كنفوق الدّابة .

٤– بين البحث أنّ الشيطان يستولي على الإنسان إذا ابتعد عن منهج الله ويملكه كما يملك الفارس فرسه بلجامه فيكون تابعاً مسلوب الإرادة كالأنعام .

(١) تفسير الكشاف : ٤ / ٥٨٨ ، مفاتيح الغيب : ٢٠ / ٦٠٦ ، التحرير والتنوير : ٢٩ / ٧٧ .

٥- بين البحث أحوال الكافرين يوم القيامة وأنهم يزجرون زجر الكلاب ليدل على تدني مستوى الكافرين وهبوط الأسس الانسانية عندهم ، فيمكثون في النار أذلاء صاغرين حقيرين .

٦- تبين أنّ القرآن ينهي عن الأخلاق السيئة الذميمة التي تظهر بين أفراد المجتمع المسلم مثل الكِبر بالتمثيل الكنائي عبر استنطاق اللفظ بما فيه ؛ لإظهار المعاني الأخلاقية في صور حسية مع الاكتفاء باللمحة الدّالة .

٧- تبين أنَّ القرآن يصور حال الكافرين يوم القيامة باستخدام التشبيه التمثيلي المستمد من الطبيعة المتحركة الحيوانية ، لا يتأثر بتقادم الزمن .

٨- عبر القرآن عن أعضاء الكافر بالأسماء الموضوعة ، لأشباه تلك الأعضاء من الحيوانات استخفافاً ، وهذا العدول فيه ملحظ التحقير والهبوط بآدمية الكافر .

Lexemes Denote Animals in the Glorious Quran

Lect. Dr.Slaah AL deen Saleem

Abstract

The research shows the interest of Arabs in animals since ancient times, because it is their source of livelihood and means of transportation. So they talked about it, describing its bodies, its printing and its movements, and Islam came to give the animal great importance .

The study revealed the meaning of the words of the animal in the glorious Quran such as (Yanak) and (Habetat) and (La ahtanikana) and (Ekhsao) and (wla tusair) and (Hem) and (Znim) and (Khartoum).the work is divided into two sections: The first (animal in the Arab heritage) and the second revealed (the meaning of the words), as well as an introduction and a conclusion in which the most important results.